@ 522 @ ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إل ه من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ^ يخبر تعالى عن سفاهة المشركين المكذبين للرسول ، وأنهم زعموا قبحهم ا أن ا اتخذ ولدا فقالوا : الملائكة بنات ا ، تعالى ا عن قولهم . وأخبر عن وصف الملائكة ، بأنهم عبيد مربوبون مدبرون ، ليس لهم من الأمر شيء ، وإنما هم مكرمون عند ا ، قد ألزمهم ا ، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته ، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل ، وأنهم في غاية الأدب مع ا ، والامتثال لأوامره . ^ (لا يسبقونه بالقول) ^ أي : لا يقولون قولا مما يتعلق بتدبير المملكة ، حتى يقول ا ، لكمال أدبهم ، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه . ^ (وهم بأمره يعملون) ^ أي : مهما أمرهم ، امتثلوا لأمره ، ومهما دبرهم عليه ، فعلوه . فلا يعصونه طرفة عين ، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر ا ، ومع هذا ، فا قد أحاط بهم علمه . ^ (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ^ أي : أمورهم الماضية والمستقبلة ، فلا خروج لهم عن علمه ، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره . ومن جزئيات وصفهم بأنهم لا يسبقونه بالقول ، وأنهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ، ورضاه ، فإذا أذن لهم ، وارتضى من يشفعون فيه ، شفعوا فيه ، ولكنه تعالى لا يرضى من القول والعمل ، إلا ما كان خالصا لوجهه ، متبعا فيه الرسول . وهذه الآية من أدلة إثبات الشفاعة ، وأن الملائكة يشفعون . ^ (وهم من خشيته مشفقون) ^ أي : خائفون وجلون ، قد خضعوا لجلاله ، وعنت وجوههم لعزه وجماله . فلما بين أنه لا حق لهم في الألوهية ، ولا يستحقون شيئا من العبودية بما وصفهم به من الصفات المقتضية لذلك ذكر أيضا أنه لا حظ لهم ، من الألوهية ، ولا بمجرد الدعوى ، وأن من قال منهم : ^ (إني إله من دونه) ^ على سبيل الفرض والتنزل ^ (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ^ . وأي : ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص ، الفقير إلى ا من جميع الوجوه ، مشاركته ا في خصائص الإلهية والربوبية ؟ ! ! ^ (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من المآء كل شيء حي أفلا يؤمنون) ^ أي : أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم ، وجحدوا الإخلاص له في العبودية ، ما يدلهم دلالة مشاهدة ، على أنه الرب المحمود الكريم المعبود ، فيشاهدون السماء والأرض ، فيجدونهما رتقا : هذه ليس فيها سحاب ولا مطر . وهذه هامدة ميتة ، لا نبات فيها ، ففتقناهما : السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، أليس الذي أوجد في السماء السحاب ، بعد أن كان الجو

صافيا لا قزعة فيه ، وأودع فيه الماء الغزير ، ثم ساقه إلى بلد ميت ؛ قد اغبرت أرجاؤه ، وقحط عنه ماؤه ، فأمطره فيها ، فاهتزت ، وتحركت ، وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، مختلف الأنواع ، متعدد المنافع ، أليس ذلك دليلا على أنه الحق ، وما سواه باطل ، وأنه محيي الموتى ، وأنه الرحمن الرحيم ؟ ولهذا قال : ^ (أفلا يؤمنون) ^ أي : إيمانا صحيحا ، ما فيه شك ولا شرك . ^ (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون * وجعلنا السمآء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون * وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) ^ ثم عدد تعالى الأدلة الأفقية فقال : ^ (وجعلنا في الأرض) ! 2 2 ! (في فلك يسبحون) ^ . أي : ومن الأدلة على قدرته وكماله ووحدانيته ، ورحمته ، أنه لما كانت الأرض لا تستقر إلا بالجبال ، أرساها بها وأوتدها ، لئلا تميد بالعباد ، أي : لئلا تضطرب ، فلا يتمكن العباد من السكون فيها ، ولا حرثها ، ولا الاستقرار بها . فأرساها بالجبال ، فحصل بسبب ذلك ، من المصالح والمنافع ، ما حصل ، ولما كانت الجبال المتصل بعضها ببعض ، قد اتصلت اتصالا كثيرا جدا ، فلو بقيت بحالها ، جبالا شامخات ، وقللا باذخات ، لتعطل الاتصال بين كثير من البلدان . فمن حكمة ا ورحمته ، أن جعل بين تلك الجبال فجاجا سبلا . أي : طرقا سهلة لا حزنة ، لعلم يهتدون إلى الوصول ، إلى مطالبهم من البلدان ، ولعلهم يهتدون بالاستدلال بذلك على وحدانية المنان . ^ (وجعلنا السماء سقفا) ^ للأرض التي أنتم عليهم ^ (محفوظا) ^ من السقوط ^ (إن ا يمسك السموات والأرض أن تزولا) ^ محفوظا أيضا من استراق الشياطين للسمع . ^ (وهم عن آياتها معرضون) ^ أي : غافلون لاهون ، وهذا عام في جميع آيات السماء ، من علوها ، وسعتها ،